
عَصا يَعْقوب
أجمل حكاياتي
CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

عَصَا يَعْقُوب



مقتبسة من حكايات الإخوة غريم

رسوم : منصور عموري





كَانَ زَوْجٌ يَرْغَبَانِ فِي الْحُصُولِ عَلَى طِفْلٍ مُنْذُ زَمَنٍ. لَكِنْ دُونَ جَدْوَى، لِأَنَّ صِحَّةَ الزَّوْجَةِ لَمْ تَكُنْ جَيِّدَةً. حَتَّى جَاءَ يَوْمٌ رَأَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ فِي حَدِيقَةٍ مُجَاوِرَةٍ خُضْرَةً رَائِعَةً تُعْرَفُ بِاسْمِ عَصَا يَعْقُوبَ. رَغِبَتِ الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ بِقُوَّةٍ فِي الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ النَّبْتَةِ، وَ هِيَ مُقْتَنِعَةٌ بِأَنَّهَا سَتُعِيدُ لَهَا صِحَّتَهَا. لَكِنَّ الْحَدِيقَةَ كَانَتْ مِلْكًا لِسَاحِرَةٍ وَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَجَرَّأُ عَلَى أَنْ يُغَامِرَ فِي الدُّخُولِ إِلَيْهَا. لَمْ تَتَجَرَّإِ الْمَرْأَةُ عَلَى إِخْبَارِ زَوْجِهَا بِذَلِكَ، رَغْمَ أَنَّ رَغْبَتَهَا صَارَتْ أَكْثَرَ إِلْحَاحًا. لَكِنَّهُ لَاحَظَ الْهُزَالَ وَ الشُّحُوبَ عَلَى زَوْجَتِهِ، فَسَأَلَهَا بِقَلَقٍ : « مَا الَّذِي يَجْرِي يَا عَزِيزَتِي ؟ » اِعْتَرَفَتْ لَهُ : « أَتَرَى نَبَاتَ عَصَا يَعْقُوبَ فِي الْحَدِيقَةِ الْمُجَاوِرَةِ ؟ يَجِبُ أَنْ آكُلَ مِنْهُ لِأَسْتَرْجِعَ صِحَّتِي وَ إِلَّا سَأَمُوتُ ».



قَرَّرَ الزَّوْجُ، الَّذِي تَضَاعَفَتْ مَخَاوِفُهُ، أَنْ يَذْهَبَ إِلَى حَدِيقَةِ السَّاحِرَةِ فِي نَفْسِ الْمَسَاءِ لِيَجْلِبَ عَصَا يَعْقُوبَ. جَاءَ بِهَا لِزَوْجَتِهِ الَّتِي صَنَعَتْ مِنْهَا أَطْبَاقًا شَهِيَّةً اِلْتَهَمَتْهَا بِمُتْعَةٍ كَبِيرَةٍ. لَكِنَّ الْمَرْأَةَ اسْتَطَابَتْ عَصَا يَعْقُوبَ، وَ اشْتَدَّتْ رَغْبَتُهَا فِيهَا. فَاضْطَرَّ الزَّوْجُ أَنْ يَعُودَ مَسَاءَ الْيَوْمِ الْمُوَالِي لِلْحَدِيقَةِ الْمُجَاوِرَةِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، فَاجَأَتْهُ السَّاحِرَةُ غَاضِبَةً وَ قَالَتْ لَهُ : « كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى دُخُولِ حَدِيقَتِي دُونَ إِذْنِي ؟ » شَرَحَ الرَّجُلُ الْمِسْكِينُ : « فَعَلْتُ ذَلِكَ حُبًّا فِي زَوْجَتِي، فَإِنْ هِيَ لَمْ تَأْكُلْ مِنْ هَذِهِ النَّبْتَةِ لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تُنْجِبَ طِفْلًا، وَ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ قَدْ تَمُوتُ » . هَدَّأَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ غَضَبِ السَّاحِرَةِ الَّتِي قَالَتْ لَهُ : « إِذَنْ أَسْمَحُ لَكَ بِالدُّخُولِ لِأَخْذِ مَا تَشَاءُ مِنْ عَصَا يَعْقُوبَ، شَرْطَ أَنْ تُعْطِيَنِي طِفْلَكَ الْأَوَّلَ »، فَقَبِلَ الزَّوْجُ طَلَبَ السَّاحِرَةِ بِحَسْرَةٍ.



وَفَى الزَّوْجَانِ بِوَعْدِهِمَا بَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنْ ذَلِكَ، وَ سَلَّمَا لِلسَّاحِرَةِ مَوْلُودَهُمَا الْأَوَّلَ، وَ كَانَ طِفْلَةً جَمِيلَةً. أَخَذَتْهَا السَّاحِرَةُ إِلَى بَيْتِهَا، وَ أَطْلَقَتْ عَلَيْهَا اسْمَ عَصَا يَعْقُوبَ. وَ عِنْدَمَا صَارَتْ عَصَا يَعْقُوبَ فَتَاةً حَسْنَاءَ قَرَّرَتِ السَّاحِرَةُ الْغَيُورَةُ الْمُتَسَلِّطَةُ أَنْ تَحْبَسَهَا فِي بُرْجٍ حَتَّى لَا تَفْقِدَهَا وَ حَتَّى لَا يَتَسَنَّى لِأَيِّ رَجُلٍ إِغْرَاءَهَا. كَانَ الْبُرْجُ مَعْزُولًا، بِلَا أَبْوَابٍ، لَهُ نَافِذَةٌ صَغِيرَةٌ فِي الْأَعْلَى فَقَطْ. وَ حَتَّى تَدْخُلَ الْبُرْجَ كَانَتِ الْعَجُوزُ تَطْلُبُ مِنَ الْفَتَاةِ، الَّتِي كَانَتْ تَمْلِكُ شَعْرًا ذَهَبِيَّ اللَّوْنِ طَوِيلًا جِدًّا: « عَصَا يَعْقُوبَ، يَا جَمِيلَتِي هَلْ يُمْكِنُكِ أَنْ تَفْرِدِي لِي شَعْرَكِ حَتَّى أَتَسَلَّقَهُ ؟ » وَ بَعْدَ أَنْ تُظَفِّرَ الْحَسْنَاءُ شَعْرَهَا الْجَمِيلَ تَرْبِطُهُ فِي مِعْلَاقٍ ثُمَّ تَتْرُكَهُ يَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلِ الْبُرْجِ. وَ هَكَذَا تَتَمَكَّنُ السَّاحِرَةُ مِنَ التَّسَلُّقِ حَتَّى النَّافِذَةِ.



فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، كَانَ ابْنُ الْمَلِكِ مَارًّا مِنْ هُنَاكَ، وَ سَمِعَ عَصَا يَعْقُوبَ تُغَنِّي فِي قِمَّةِ الْبُرْجِ، فَتَوَقَّفَ مَفْتُونًا بِجَمَالِ صَوْتِهَا. كَانَ يُنْصِتُ إِلَيْهَا مُنْذُ وَقْتٍ عِنْدَ الْبُرْجِ حِينَ رَأَى السَّاحِرَةَ الْعَجُوزَ تَقْتَرِبُ. وَ كَالْعَادَةِ طَلَبَتْ مِنَ الشَّابَّةِ أَنْ تُدْلِيَ شَعْرَهَا، فَنَفَّذَتِ الْفَتَاةُ طَلَبَهَا. شَاهَدَ الْأَمِيرُ عَصَا يَعْقُوبَ وَ هِيَ مُنْحَنِيَةٌ عَلَى حَافَّةِ النَّافِذَةِ فَسَحَرَهُ جَمَالُهَا. بَعْدَ أَنْ رَأَى الْمَشْهَدَ، صَمَّمَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَكَانِ لِرُؤْيَةِ الْفَتَاةِ الْحَسْنَاءِ وَ يُكَلِّمَهَا. قَامَ بِذَلِكَ فِي نَفْسِ الْمَسَاءِ. وَ مِنْ أَسْفَلِ الْبُرْجِ نَادَى عَصَا يَعْقُوبَ مُقَلِّدًا الْمَرْأَةَ الْعَجُوزَ. بِدُونِ رِيبَةٍ، أَطْلَقَتِ الْفَتَاةُ شَعْرَهَا وَ تَسَلَّقَ الْأَمِيرُ إِلَيْهَا. عِنْدَمَا وَقَفَ أَمَامَهَا خَافَتِ الْفَتَاةُ عِنْدَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى، لَكِنَّهَا هَدَأَتْ عِنْدَمَا جَعَلَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا بِلُطْفٍ مُعْرِبًا عَنْ إِعْجَابِهِ. أُعْجِبَتِ الْفَتَاةُ أَيْضًا بِلُطْفِ وَ جَمَالِ الْأَمِيرِ، وَ تَحَابَّا.



أَخَذَ الْأَمِيرُ يَزُورُهَا كُلَّ مَسَاءٍ، وَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ قَالَ لِعَصَا يَعْقُوبَ : « أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ وَ آخُذَكِ بَعِيدًا عَنْ هُنَا، إِلَى مَمْلَكَتِي. » اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَعُودَ الْأَمِيرُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الْمُوَالِي بِحِبَالٍ حَرِيرِيَّةٍ طَوِيلَةٍ سَتَخْلُفُ شَعْرَ الْفَتَاةِ عِنْدَ النُّزُولِ مِنَ الْبُرْجِ. وَ لِسُوءِ الْحَظِّ، فِي الْيَوْمِ الْمُوَالِي قَالَتِ الشَّابَّةُ بِبَرَاءَةٍ لِلسَّاحِرَةِ حِينَ جَاءَتْ إِلَيْهَا : « لِمَاذَا تَسْتَغْرِقِينَ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ لِتَتَسَلَّقِي الْبُرْجَ، بَيْنَمَا يَتَسَلَّقُهُ الْأَمِيرُ الشَّابُّ بِسُرْعَةٍ وَ خِفَّةٍ ؟ » غَضِبَتِ السَّاحِرَةُ وَ هَدَّدَتْ : « هَكَذَا إِذًا، أَنْتِ تُقَابِلِينَ شَابًّا، بَيْنَمَا مَنَعْتُكِ مِنْ رُؤْيَةِ وَ مُحَادَثَةِ أَحَدٍ. مَا دَامَ الْحَالُ هَكَذَا سَآخُذُكِ بَعِيدًا وَ لَنْ تَرَيْهِ أَبَدًا ! »



نَفَّذَتِ السَّاحِرَةُ تَهْدِيدَهَا فِي الْحَالِ، وَ وَجَدَتِ الشَّابَّةُ الْمِسْكِينَةُ نَفْسَهَا فِي بَيْتٍ بَعِيدٍ فِي مَكَانٍ خَالٍ وَ بَائِسٍ. فِي الْمَسَاءِ اخْتَبَأَتِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ فِي أَسْفَلِ الْبُرْجِ وَ عِنْدَمَا وَصَلَ الْأَمِيرُ مُمْتَلِئًا بِالْأَمَلِ وَ الْحُبِّ، حَامِلًا الْحِبَالَ الْحَرِيرِيَّةَ، وَجَدَ نَفْسَهُ أَمَامَ الْمَرْأَةِ الشِّرِّيرَةِ الَّتِي ضَحِكَتْ بِقَسَاوَةٍ لِدَهْشَتِهِ وَ صَاحَتْ فِي وَجْهِهِ : « لَنْ تَرَى أَبَدًا عَصَا يَعْقُوبَ، وَ أَعْمَى سَتَبْقَى ! »



مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ حُكِمَ عَلَى الشَّابِّ أَنْ يَتِيهَ بَيْنَ الْجِبَالِ وَ السُّهُولِ بَحْثًا عَنْ حَبِيبَتِهِ كَفِيفًا وَ تَعِيسًا. وَ لَكِنْ بِقُوَّةِ الْأَمَلِ وَ الْمُثَابَرَةِ، قَادَهُ حُبُّهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ تَعِيشُ فِيهِ الْفَتَاةُ. كَانَتْ عَصَا يَعْقُوبَ تُغَنِّي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. تَعَرَّفَ عَلَى صَوْتِهَا الْجَمِيلِ وَ نَادَاهَا، فَخَرَجَتْ عَصَا يَعْقُوبَ مِنَ الْبَيْتِ وَ رَأَتِ الْأَمِيرَ.

جَرَتْ نَحْوَهُ وَ ارْتَمَتْ فِي أَحْضَانِهِ. وَ لَامَسَتْ دُمُوعُ فَرَحِهَا عُيُونَ الشَّابِّ فَاسْتَرْجَعَ لِتَوِّهِ بَصَرَهُ. أَخَذَ الْأَمِيرُ عَصَا يَعْقُوبَ إِلَى قَصْرِهِ، وَ تَزَوَّجَا وَ عَاشَتْ كُلُّ الْمَمْلَكَةِ فِي فَرَحٍ. وَ كَانَ ذَلِكَ بِدَايَةَ قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْحُبِّ وَ السَّعَادَةِ.

